

مصادر البحث عن الإسهامات الجزائرية في اللغة والأدب

الدكتور سليمان قوراري جامعة أدرار

ملخص المقال باللغة الإنجليزية

Algerian scholars through the ages have contributed various literary linguistic studies .Some of these studies are highlighted by both “Iben Meriem Atelemcani ” in his “Albustane” and”Algabrinie”inhis “Aldiraya ”.

Given the importance of the Algerian literary and linguistic tradition. The present article investigates for the sources that display Algerian contributorsin literature and linguistics. This is carried on through the act of checking out indexes and centers of manuscripts , Books of travels, biographies , centers of learning and research teams , and conferences of Islamic thoughts .

Thus, all these factors can illustrate the effective contribution of the Algerian scientists in the field of the language and literature

نص المقال :

تمهيد

لم ينقطع العطاء الفكري والأدبي في القطر الجزائري، على مرّ العصور على الرغم من الفترات الحالكة التي مرّت، والقطر الجزائري على غرار الأقطار المغاربية الأخرى عرف علماؤه عطاءات أدبية متنوعة، ذكر بعضا منها ابن مريم التلمساني في " البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان " والغبريني في " عنوان الدراية " ولقد توجهت عناية الدارسين في العصر الحاضر، إلى التراث الجزائري، بحثا وتحقيقا ودرسا، نظرا لما يشكّله التراث من أهمية في تاريخ الأمم والشعوب، إذ هو صمام الأمان لشخصيتها، ومبعث العزة والفخر بين أبنائها. فالشيخ المغيلي على الرغم من شهرته الواسعة، إلا أن كثيرا من تراثه لا يزال طيّ النسيان، أو بين رفوف الخزائن، ينتظر الهمم العالية، والعزائم القوية، ليرى النور، وهذا ما قام به بعض العاملين في الحقل التراثي. وستعرض المداخلة لأهمية العناية بأعلام الجزائر ومساهماتهم اللغوية والأدبية، وذلك بالبحث في مصادر الكشف عن الإسهامات الجزائرية في اللغة والأدب .

أهمية العناية بأعلام الجزائر وعطاءاتهم اللغوية والأدبية :

إذا تصفح الباحث أي مصدر من مصادر المخطوطات العربية والإسلامية سيجد لا محالة نماذج لأعلام جزائريين تركوا بصمات على المستوى المحلي والعربي والإسلامي والعالمي، فلقلب التلمساني يصادفنا في " العقيدة الصغرى، ومكّوب في التوحيد، والعقيدة الوسطى " وهي جميعها لـ محمد بن يوسف الحسني السنوسي التلمساني، المتوفى سنة 893هـ / 1486م، وفي آخر العقيدة الوسطى " والأمانة حفظ جميع الجوارح الظاهرة والباطنة من التلبس بمنهي عنه فهي تحريم أو كراهة، والخيانة عدم حفظها من ذلك، وبالله التوفيق لا رب غيره وصلى

الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما " ¹، وتزخر مراكز المخطوطات بشروح عدّة لكتب السنوسي لا سيما شرح العقيدة السنوسية ²، وهي بذلك تمثل خزاناً مهماً للمجهودات العلمية التي قام بها علماء الجزائر في القرون الخالية .

وفي فهرسة مخطوطات المكتبة القاسمية بالجزائر ثروة مهمة من التراث الجزائري، الذي يعين الدارس على التعرف على الخصائص اللغوية لإبان القرون التي صُنفت فيها فنجد في هذه الفهرسة مثلاً " الإرشاد لما فيه من مصالح العباد " لعبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبو زيد الثعالبي الجزائري (875/786هـ / 1384، 1470م) وفي آخره " وليصلحه من الأمهات المنقول منها يعظم الله له أجرا وصلى الله على سيدنا محمد " ³ وتجد الإشارة إلى أن ما ورد في هذه الفهرسة حسب جامعها هو " ما أمكننا تسجيله من مخطوطات مكتبة جدنا الشيخ سيدي محمد بن عزوز القاسمي الحسني رحمه الله قبل تقسيمها على الورثة فواتح ربيع الثاني 1421هـ الموافق لآخر جوليت 1999 . . . " ⁴ .

إن الاهتمام بالتراث العربي والإسلامي والعمل على العناية به من مختلف الجوانب هو عمل مقدّس ونبيل، ويؤجر عليه صاحبه، سواء كان الجهد فردياً أو جماعياً تتضافر عليه مؤسسات مؤهلة مادياً وعلمياً وفنياً، ومن بين تلك المؤسسات التي ساهمت في تعريف الجيل

هوامش المقال :

¹ عبد القادر ممّا حيدرّة : فهرس مخطوطات مكتبة ممّا حيدرّة للمخطوطات والوثائق. تحرير : أيمن فؤاد سيد. مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 1421هـ / 2000م. ج1، ص : 239، 240 .

² أحمد ولد محمد يحيى : فهرس مخطوطات شنقيط ووادان. تحقيق : أولرخ ريشتوك (سلسلة فهارس المخطوطات الإسلامية : 7 المكتبات في إفريقيا — موريتانيا) مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن 1417 / 1997. ص : 372، 373 .

³ محمد فؤاد الخليل القاسمي الحسني : فهرسة مخطوطات المكتبة القاسمية. دار الغرب الإسلامي، ط1، 1427هـ، 2006م. ص : 66 .

⁴ محمد فؤاد الخليل القاسمي الحسني : فهرسة مخطوطات المكتبة القاسمية. ص : 533 .

العربي بكنوز أجداده في مختلف الميادين المعرفية " مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، وقد جاء في المجلد الذي شمل أعمال المؤتمر الذي عقدته بلندن بمناسبة افتتاحها في جمادى الآخرة سنة 1413هـ / ديسمبر 1991م " إن الأبحاث التي قدمها السادة العلماء تشكل مساهمة أولى منهم في نشاط المؤسسة التي تهدف إلى حفظ وفهرسة ذلك الكم الهائل من المخطوطات الإسلامية المتناثرة حاليا في جميع أرجاء العالم . . . " ¹

مصادر الكشف عن الإسهامات الجزائرية في اللغة والأدب:

إن إسهامات علماء القطر الجزائري في مختلف ميادين اللغة والأدب متعددة ومتداخلة مع عدة أبحاث أخرى، ومصادرها متعددة، يمكن أن يعثر عليها الباحث بعد استقراغ الجهد، وشحذ الهمم، من مصادر قد تبدو لأول وهلة لا علاقة لها بالبحث اللغوي والأدبي، ولكن بقليل من التروّي، وشيئ من إمعان النظر، وتنعيم البصر، سيلفي الدارس، أن هذه المصادر، تضم بين ثناياها حقائق مهمة عن الأجناس الأدبية التي وُظفت إبان مختلف الفترات التاريخية التي مرّت عليها الجزائر، وعاش في ظلّها أولئك العلماء الذين خدموا اللغة العربية وآدابها .

1) مصادر اهتمت بالأعلام الجزائريين في الفكر والثقافة :

إن هذه المصادر التي عرّفت القارئ والباحث على جملة من الأعلام الجزائريين، وعلى الرغم من منحها التاريخي، إلا أنها تمثل مادة خام مهمة لكل باحث، يسعى للبحث عن الوجه اللغوي أو الأدبي لهذا العلم أو ذاك ومن ذلك المصدر المهم " البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان " فقد ذكر فيه مصنفه رحمه الله تعالى عن الشيخ السنوسي قوله "

¹ أعمال المؤتمر الافتتاحي لمؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي (ديسمبر 1991/جمادى الآخر 1413): أهمية المخطوطات الإسلامية. مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن 1413/1992. ص: 11 .

وليكن اعتناؤك يا أخي بمن تأخر من الصالحين وخصوصا من أهل بلدك حلولا بالسكنى والدفن أكثر من اعتناؤك بمن تقدم منهم " ¹ وذكر رحمه الله أوجها لذلك وفوائد مهمة .

ومن المصادر المهمة التي اهتمت بأعلام الجزائر، وغطت جانبا مهما في ذلك كان نسيا منسيا، وأبرزت إسهامات علماء الجزائر في العلوم التي برزوا فيها كتاب " تعريف الخلف برجال السلف " للعلامة الجزائري الحفناوي (1269 - 1360هـ / 1852 - 1942م) . حيث يقول محقق الكتاب الباحث خير الدين شترة : " فللحفناوي مزية كبيرة على أهل التاريخ والتراجم والأدب . . . بأن حفظ لهم رصيда تاريخيا معيننا عن الطرق اتلصوفية في الجزائر ومشايخها وزواياها، كما له مزية كبرى في أنه أفادنا بأخبار عن معاصريه وبفضله وصلتنا معلومات استخرجها من الوثائق العائلية التي اطلع عليها معاصروه من العلماء فالمكانة التي كان يحتلها أبو القاسم الحفناوي ضمن تلك الحركة الجماعية هي التي كانت من أهم أسباب انبعاث النهضة في الجزائر " ²

فالباحث والمؤرخ الجزائري العلامة المرحوم يحي بوعزيز رصد وبحت عن كثير من أعلام الفكر والثقافة في الجزائر الحروسة، وصنف كتابا في هذا الصدد في مجلدين، ضمنته العديد من أعلام بلاد الجزائر كما تحدث عن دور الفقيه المغيلي التلمساني في الإصلاح بغرب إفريقيا هذا الفقيه الجليل الذي " رحل إلى توات في النصف الثاني من القرنين : التاسع الهجري، والخامس عشر الميلادي ن وقام بثورته المشهورة ضد يهود توات الذين بالغوا في مكرهم وخبثهم، واستعلائهم على المسلمين، فهدم بيعهم الضخمة بمدينة تمنطيط وأعادهم إلى

¹ محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم : البستالن في ذكر الولياء والعلماء بتلمسان. تحقيق : محمد بن يوسف القاضي. مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط1، 1431هـ، 2010م. ص: 06 .

² أبو القاسم محمد الحفناوي (1269 — 1360هـ / 1852 — 1942م) : تعريف الخلف برجال السلف. دراسة وتحقيق :خير الدين شترة. دار كردادة للنشر والتوزيع، بوسعادة، الجزائر، ط1، 1433هـ / 2012م. ج1، ص: 382، 383 .

وضعهم الطبيعي كجالية، وأهل ذمة، ولاقى في ذلك ما لاقى من عنت حتى من القاضي التواتي عبد الله العصنوني. ثم رحل إلى إمارة كانو ببلاد الهوسنة، ودرّس هناك وعلم مدة من الزمن . . .¹. وهذه الثورة العظيمة، ألهمت بعض الروائيين للإبداع من خلال استلهاهم دلالتها الدينية والاجتماعية والثقافية، على غرار الروائي الجزائري الحبيب السائح في رواية " تلك الحبة " .

ومن الدارسين الذين أسهموا في التعريف بأعلام من المغرب العربي، ويمكن أن يجد الدارسون في آثارهم بصمات لا يستهان بها ونظرات ثاقبة في ميادين اللغة والأدب، من هؤلاء الدارسين الأستاذ الباحث : محمد الصالح الصديق². الذي قدّم " أعلام من المغرب العربي" في أجزاء ثلاثة حيث قال " أما هدفنا من تأليف هذا الكتاب، فهو تعريف أجيالنا بآثر هؤلاء الأعلام الذين أقاموا البرهان ساطعاً على رسوخ عقيدتهم، وقوة إيمانهم وإخلاصهم لربهم ودينهم ووطنهم، وأدوا رسالتهم المنوطة بهم على الوجه المطلوب"³، يذكر الأستاذ محمد الصالح الصديق في الجزء الأول مجموعة من العلماء والأدباء الذين خدموا اللغة العربية وعلومها، وبنّوا أحكام الشريعة وأسارها، وتفتنوا في صنعة الشعر وقريضه، فنجد من المباحث ما

¹ يحي بوعزيز : تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين. (الأعمال التاريخية للدكتور يحي بوعزيز) طبعة خاصة وزارة المجاهدين. عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة خاصة 2009م. م8، ص: 37 .

² محمد الصالح الصديق عالم من علماء الجزائر من مواليد " قرية أبريزا ببنزوي وزو (الجزائر) حفظ القرآن الكريم على يد والده، ثم درس في زاوية الشيخ عبد الرحمن البيلوي، وانتقل بعد ذلك للدراسة بالزيتونة، شارك في الثورة التحريرية المباركة، شاغلا منصب مسؤول الإعلام الثوري بالملكة الليبية، ليتفرغ لشؤون التعليم والنشاط الإذاعي بعد الاستقلال، وتأليف الكتب النافعة، ومنها، بالإضافة إلى الكتب التي استعنا بها في بحثنا : مقاصد القرآن، من قلب اللهب، أدياء التحصيل... وغيرها كثير. ينظر : محمد بوزواوي: معجم الأدياء والعلماء المعاصرين من 1798 إلى 2009. الدار الوطنية للكتاب .، درارية، الجزائر العاصمة، 2009. ص: 390، 391 .

³ محمد الصالح الصديق : أعلام من المغرب العربي. موفم للنشر، الجزائر، 2008م. ج1، ص : 12.

يدور حول الشاب الظريف التلمساني، ومحمد أوبراس، والشيخ مصطفى الكبابي، والشيخ عبد القادر المجاوي، والشيخ طاهر الجزائري، والشيخ المولود الزيري، ومحمد بن أبي شنب... وغيرهم كثير في الجزئين التاليين .

و نود أن نشير هنا إلى أن هؤلاء الأعلام الذين تعرض لهم لا يتناولهم كما يتناوله بعض الذين أنجزوا بعض المعاجم الخاصة بالأعلام والتي تكتفي بالمقتطفات التي تخص الميلاد والوفاة وبعض المؤلفات، وإنما يجد القارئ نفسه أمام مادة خصبة تتم عن وعي مقدر وبضاعة دسمة، وخبرة وبصيرة لدى الرجل، تدفعه للبحث في أسرار عبقرية الرجال، وسرّ ديمومة أعمالهم الخالدة، ولنضرب لذلك مثلا فقط بالشيخ المولود الحافظي الفلكي الأزهري، الذي خصّص له مبحثا من ص: 229 حتى ص: 299، وما ذاك إلا لجهل الكثير عن سيرة ومآثر هذا العلم، بين الأساتذة والطلبة الجامعيين فكان هؤلاء الأعلام لم يعيشوا يوما فوق هذه الأرض¹ .

وللأستاذ محمد الصالح الصديق كتاب شخصيات فكرية وأدبية، فيه عرض مفصل لمآثرهم مواقفهم من ثورة التحرير المباركة² وفي هذا الكتاب يستعرض مسيرة علم من أعلام الجزائر في العلم والثقافة والنضال الوطني، والوعي السياسي ألا وهو توفيق المدني، قائلا عنه: " إن الحديث عن تاريخ توفيق حديث عن تاريخ الجزائر، فليجهد كل منا أن يكون مثل توفيق تاريخنا للجزائر، تاريخنا مشرفا، تاريخنا يليق بعروبها وإسلامها " ³ والشيخ محمد الصالح

¹ محمد الصالح الصديق : المرجع نفسه. ج 1، ص : 231 .

² محمد الصالح الصديق : شخصيات فكرية وأدبية (هذه مواقفنا من ثورة التحرير الجزائرية) دار الأمة للنشر والتوزيع، برج الكيفان، الجزائر، ط2010م

³ محمد الصالح الصديق : شخصيات فكرية وأدبية (هذه مواقفنا من ثورة التحرير الجزائرية) دار الأمة للنشر والتوزيع، برج الكيفان، الجزائر، ط2010م ص: 340.

الصدیق یحاول أن یبحث بموضوعیة ونزاهة. ومن مؤلف الشیخ المرحوم محمد باي بلعالم " الرحلة العلیة " سيجد الباحث عن الأعلام الجزائريین وبعض إسهاماتهم اللغویة والأدبیة، الشیء الكثير، الذی سیکون بمثابة انطلاقة لبحوث معمقة حول آثارهم ومضامینها وأسالیبها. وعلى سبیل المثال فإنه یوجه أنظار الباحثین إلى بعض الغرر والفرائد الأدبیة شحذا للهمم ومن بینها قصیدة للشیخ سیدی محمد إدوعلی العبانی، الذی بعث بها إلى ابنه إبراهیم لما غاب عنه إلى افریقیا وترکة أعمى مقعدا، وهی تموج بالشکوى والنجوى، والعتاب والرجاء¹ والکتاب یعد موسوعة متنوعة لكل متشوق لمعرفة منطقة توات وما یربطها من الجهات، وقد بذل المرحوم الشیخ باي جهدا معتبرا حتى تلبي رغبة المتعطشین للمعرفة .

وفي هذا الإطار الخاص بالإسهامات الجزائریة فی اللغة والأدب یمکن الاستفادة مما ألفه الشیخ مولای التهامی غیتاوی من سلسلة النوات فی إبراز شخصیات م علماء وصالحی

¹ ينظر : محمد باي بلعالم " الرحلة العلیة إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما یربط توات من الجهات .مطبعة دار هومة. 2005م. ج2، ص:130. والشیخ باي أبو عبد الله بن محمد عبد القادر بن محمد بن المختار بن أحمد العالم القبولی الجزائري (المالکی المذهب) الشهیر بالشیخ باي، یرجع نسبه إلى قبيلة حمیر القبيلة العربیة المشهورة باليمن ولد محمد باي عام (1930 م) فی قرية ساهل من بلدیة اقبلي بدائرة أولف ولاية أدرار بجنوب الجزائر، تربی فی أسرة اشتهرت بالعلم والمعرفة، اهتمت بتعلیمه، حفظ القرآن الکریم ونال نصیبا موفورا من العلوم اللغویة والشرعیة و تبرز فیها، أسس فی مدينة أولف مدرسة للعلوم الشرعیة تعنى بتدريس الطلاب والطالبات الأمور الدینیة واللغویة، وفي عام (1981م) قام بتوسیع مدرسته وأضاف إليها قسما جدیدا خاصا بالإناث، فأصبحت تستقبل أعدادا کبيرة من الفتيات على غرار ما تستقبله من الفتيان، وقام بتوسیع الأقسام الداخلية بحيث أصبحت تستوعب طلابا من خارج البلاد. حج بیت الله الحرام عشرات المرات. وقد خلف الشیخ باي مصنفات متعددة فی العلوم اللغویة والشرعیة والتاریخیة من أبرزها - ضیاء المعالم على ألفیة الغریب لابن العالم. (جزءان) . - المفتاح النورانی على المدخل الربانی فی الغریب القرآنی. فی العلوم القرآنیة، وفي مصطلح الحديث : - كشف الدثار على تحفة الآثار. وله فی الفقه مؤلفات عديدة منها زاد السالك شرح أسهل المسالك (جزءان).....ینظر: الترجمة الذی أعدها محمد علی الأمين الشنقیطی، وهی موجودة فی مؤلف الشیخ محمد باي بلعالم " الرحلة العلیة ". ج2، ص: 377، 386 .

إقليم توات، ففيها فوائد جمة يمكن الاستفادة منها أدبيا ولغويا، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون¹. ومن المصنفات التي تبرز لنا هذه العطاءات - والتي نشير لها فقط في هذا المقال، المقال، وستكون لنا عودة لها في دراسات مفصلة إن شاء الله تعالى في المستقبل القريب - كتاب الدرر النفيسة في ذكر جملة من حياة الشيخ سيدي أحمد بن موسى، ويرد ذلك بذكر لحظة مختصرة من حياة أحد أعلام القنادسة العالم الولي الصالح " سيدي محمد بن أبي زيان " ²

يمكن الاستفادة أدبيا من بعض المصادر التاريخية التي تبين مدى إسهام بعض الأدباء في فن الوصف لا سيما وصف القصور والبساتين الغناء التي زحرت بها بعض الحواضر الكبرى في بلاد المغرب الأوسط، ومن ذلك وصف " المدرسة التاشفينية " نسبة لأبي تاشفين عبد الرحمن الأول (1318م . 1337م) الذي عرف بشغفه بفن العمارة (قصر أبي فهر، والسرور بالمشور، المنتزه الأميري . . .)، ولقد كانت المدرسة في هندستها وعمارتها آية عجيبة من آيات الفن الإسلامي الزاخر وكتب على نافورة صحن المدرسة :

وَبَدِيعِ اتِّقَانِي وَحُسْنِ بِنَائِي	انْظُرْ بَعَيْنَكَ مُهْجَتِي وَسَنَائِي
مِنْ نَشَائِي بَلْ مِنْ تَدَفُّقِ مَائِي	وَبَدِيعِ شَكْلِي، وَاعْتَبِرْ فِيمَا تَرَى
صَافٍ كَذَوْبِ الْفِضَّةِ الْبَيْضَاءِ	جِسْمٌ لَطِيفٌ ذَائِبٌ سَيِّلَانُهُ
فَغَدَّتْ كَمِثْلِ الرَّوْضِ غِبُّ سَمَاءِ	قَدْ حَفَّ بِي أَزْهَارُ وَشْيِ نَمَقَتْ

¹ الشيخ مولاي التهامي غيتاوي من سلسلة النوات في إبراز شخصيات م علماء وصاحلي إقليم توات . المطبعة الحديثة للفنون المطبعة IMAG الجزائر، ط: مارس 2005م .

² ينظر : الشيخ مولاي التهامي غيتاوي : الدرر النفيسة في ذكر جملة من حياة الشيخ سيدي أحمد بن موسى . منشورات ANEP . المطبعة الحديثة للفنون المطبعة IMAG الجزائر . ص: 7 .

وتأسف الباحث الذي زين مؤلفه بهذه الأبيات للهمجية التي قابلت بها السلطات الاستعمارية الفرنسية هذه المعالم المضيئة التي تثبت أصالة وعمق تاريخ الجزائر، وحضارتها الرائدة قائلاً " ومما يؤسف له وقصد نحو معالم تشير إلى وجود كيان جزائري قامت سلطات الاحتلال إصدار قرار يقضي بتحطيمها سنة 1873م. وقال فيها القائد العسكري الذي أوكلت له المهمة "جمالها لا يليق لأن تكون للعرب " C'est trop beau pour que ça soit aux Arabes " ومن المتحمسين لبقائها قائمة، المهندس الفرنسي دوطوا Duthoit الذي أكد في تقريره أنها تمثل أروع نموذج معماري للزيبانيين " ¹ .

2) مراكز وفرق البحث والجهود الأكاديمية ودورها في إمالة اللثام عن جهود اللغويين والأدباء الأعلام:

هذه المراكز وفرق البحث المهمة بتاريخ الجزائر وتراثها الثقافي، تقدم بشكل مباشر أو غير مباشر مواد مهمة تخص التراث الجزائري، وبصمات علمائه، في شتى الحقول المعرفية، وهذا ما يستكشفه الباحث من خلال كلمة معالي وزير المجاهدين السيد محمد الشريف عباس بمناسبة تكريم ثلة من رجال الفكر والعلم، طبعت الوزارة أعمالهم، وهم المرحوم د. يحي بوعزيز، المرحوم د. أحمد توفيق المدني، المرحوم أ. عبد الرحمن بلعقون، المرحوم د. أبو العيد دودو والأساتذة زهور ونيسي، وهذا بمقر المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م. وذلك يوم 2010/07/07م. " فالذكرى هي المناسبة الثامنة والأربعين لعيد الاستقلال المجيد، المحطة التي كانت في الحقيقة والجواز بمثابة الولادة الجديدة للوطن أو هي انبعاث جديد للعنفاء من رمادها المقدس على حد قول أسطورة

¹ براهيم نصر الدين : تلمسان الذاكرة. منشورات ثالة، الأبيار، الجزائر، ط2، 2010م. ص : 67.

الإغريق...¹. ويضيف مبيّنا أهمية هذا اليوم ومكانته المستمدّة من موضوعه موضحا " أن ما يزيده بهاء وتميزا هو موضوعه بذاته، تكريم ثلّة مباركة من أعلام الجزائر وباحثيها وأساتذتها والذي يغمري الشرف أن أشاركهم هذه اللحظات، وأن أشهد وقفة العرفان والتقدير لهم جميعا واحدا واحدا وعبرهم لكل الجزائريين والجزائريات من الأجيال المختلفة الذين اختاروا مخابر البحث والعلم ومحاريبها من أجل غايات سامية غير آبهين بتكاليف الخيار ومصاعب الطريق " ² .

كما قامت بعض فرق البحث التاريخي بتحقيق ونشر مذكرات الأمير عبد القادر الجزائري، نظرا لما تحويه من قيمة تاريخية وفكرية، ومضامين أدبية رفيعة وقد قال عبد المجيد ميزان عند تقديمه للمخطوط سنة 1983 أن هذا المخطوط " كتب بعضه بيد الأمير، وبعضه بأيدي رفقاءه الأقربين في سجن " أمبواز" ... ويعد هذا المخطوط بحق تحفة ... فمن صفاته البارزة أنه عمل يلتقي فيه التحرير والإملاء الشخصي للأمير مع الإنشاء الجماعي الذي يم إنجازه تحت إشراف الفقيه السيد مصطفى بن التهامي، صهر الأمير وخليفته ... " ³ . ولا يمكن أن نفوت الفرصة دون أن نذكر كتاب " أدب المقاومة الوطنية في الجزائر " للباحث " عبد المالك مرتاض. وقد صدر ضمن : سلسلة منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 . وله تحليلات وآراء نقدية جديرة بالمتابعة والقراءة فقد كتب " فصلا تحليليا يتناول فكرة الخلفيات الفكرية لثورة فاتح نوفمبر المجيدة وهو جديد

¹ محمد الشريف عباس: كلمة معالي وزير المجاهدين بمناسبة تكريم ثلّة من رجال الفكر والعلم جويلية 2010. المصادر (مجلة سداسية محكمة يصدرها المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954) العدد : 21، السداسي الأول 2010. ص: 11.

² المرجع نفسه. ص: 14 .

³ مذكرات الأمير عبد القادر. (سيرة ذاتية كتبها في السجن سنة 1849 تنشر لأول مرة) تحقيق : محمد الصغير بناني وزميله. دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، برج الكيفان، الجزائر. ط7، 2010م. ص: 12 .

فيما نعلم، وحللنا قصيدتين للشهيدتين الربيع بوشامة وعبد الكريم العقون قليلًا في مجازر ثامن مايو، ولم نسبق إلى ذلك¹

وفي سلسلة تحقيق التراث الجزائري، قام الباحث "أبو بكر بلقاسم ضيف الجزائري، بتحقيق كتاب " لب الباب في رد الفكر إلى الصواب " وهو من نوادر المخطوطات التي تبحث في علم المنطق، الذي أثار جدلا كبيرا في عصر المؤلف بين مجيز ومانع له، أتحفت الأدب العربي والثقافة الإسلامية بمحاورات شعرية. بتحقيق الكتاب².

وتحدث الشيخ المرحوم مبارك الميللي عن حركة العلم والأدب في الجزائر في مقالات كتبها لجلة المنهل، واستخلص أن " العلم والأدب بالجزائر قديمان يقدم حضارة ذلك البحر، لكهما معرضان لما يُعرض لوسائل الحياة، ودلائل النظام، وتناج الاجتماع من قوة وضعف، وإحكام وانحلال، وازدهار وذبول " ³ وذكر الشيخ رحمه الله مجموعة من الأسماء اللامعة التي فرضت بصمتها العلمية، وهم ينتسبون إلى أقاليم كبيرة في القطر الجزائري مثل الزواوي، البجائي، التيهري . . . ويذكر من بينهم " أبو بكر بن سيد الناس عالم بجاية ومحدثها في القرن التاسع، والذي وصل صيته إلى الملك الحفصي بتونس، وكانت له معه محاورات، دلت على علو مكانة هذا العالم الجليل وقوة شخصيته، وعدم خشية في الله لومة لائم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

¹ عبد المالك مرتاض : أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1830 — 1962. سلسلة منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954. دار هومة، للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م. ج1، ص: 4.

² ينظر : الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت909هـ) : لب الباب في رد الفكر إلى الصواب. تحقيق : أبو بكر بلقاسم ضيف الجزائري. دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1427هـ، 2006م. ص: 8، 9.

³ محمد الميللي : الشيخ مبارك الميللي (حياته العلمية ونضاله الوطني). دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2001. ص: 175 .

وذكر الشيخ مبارك المليلي العلوم والآداب التي عرفت الجزائر الحمادية حيث عرفت الجزائر في عهد الحمادين رقا علميا وأديبا كبيرا، حيث هرع إليها كثيرا من العلماء والفضلاء وارتحل إليهم " أمثال ابن حمديس الصقلي من الأدباء، وأبي الفضل بن النحوي التوزري من العلماء وكان يشبه بأبي حامد الغزالي. فغصت عواصمهم بطلاب المعارف وناشرها وكان العلماء يتناظرون في مجالس بني حماد ويؤلفون لهم الكتب . . . " ¹.

وقد أورد مبارك المليلي رحمه الله من الشواهد ما يفيد أن كثيرا من الأميين في عهد الحمادين كانوا يحفظون بعض الكتب عن ظهر قلب، كصحيح البخاري وكتاب التلقين لعبد الوهاب البغدادي في مذهب الإمام مالك، ليصل إلى الحديث عن فضل العربية، ودور الهلاليين في نشر العربية بين طبقات الشعب، حتى إنه لم تعد هناك دواعي للتدريس أو التأليف باللسان البربري كما كان الأمر في عهد الرستميين، ولهذا كله " لم يبق للبربرية موطن إلا جبال أوراس وتيطري وجرجرة ونحوها حيث لم يختلط البربر بالعرب، والذي دعا البربر إلى هذا الاستعراب والدولة دولتهم والحكومة حكومتهم ما يعتقدونه من شرف العربية وغناها وكونها لغة الدين. فصاروا يتشرفون بإجادة النطق بها. وهكذا تأثر الأديان في رفع الفوارق الجنسية " ² وتوجيه الأمة نحو القضايا المصيرية، وجمع الناس على كلمة سواء، كما يتجلى ذلك في تأثير الدين الإسلامي الحنيف في البلاد المفتوحة.

ومن الكتب التي درسناها مبكرا كتاب الباحث المرحوم : راجح بونار " المغرب العربي تاريخه وثقافته " والذي خص فيه المغرب الأوسط ببحوث مستفيضة وبين رحمه الله تعالى من خلال المقدمة " إن الباحث الحقيقي على تأليف هذا الكتاب هو إيفاء الحركة

¹ الشيخ مبارك بن محمد المليلي : تاريخ الجزائر في القديم والحديث . تقديم وتصحيح : محمد المليلي . دار الكتاب العربي ، طبعة 2011 . ج3 ، ص: 567 .

² المرجع نفسه . ص: 568 .

الثقافية وتاريخها بالقطر الأول " الجزائر "، وقد أغفله مؤرخو الآداب إغفالا، وجهل كثير من الدارسين نشاط علمائه وأدبائه في مختلف العصور . . . " ¹ وبين رحمه الله أن الرغبة في تأليف هذا الكتاب كانت تراوده منذ أن كان طالبا بالزيتونة، وأن الذي شجعه لاستكمال مشروع هذا الكتاب النفيس في موضوعه، هو اطلاعه على رسالة عنوانها " بلاغة العرب في الجزائر " للأستاذ عثمان الكعاك " وقد أراد من تأليفها أن يلقي أضواء خاققة على الثقافة الجزائرية وآثارها الراكدة في بطون الأسفار القديمة " ²

(3) الكتب المهمة بالتصوف والطرق الصوفية، وزوايا العلم والقرآن :

هذه المصنفات تضم في ثناياها نماذج لإسهامات جزائرية متعددة في ميادين اللغة والأدب، بالإضافة إلى بعض الحقول المعرفية الأخرى، المشهورة آنذاك، كما تضم قطعاً أدبية في شكل أشعار، وخطب ووصايا، وقصص تهدف لتقويم السلوك، وتطهير النفس من أدرانها، والسعي بها نحو الكمالات الروحية، وهي تمثل مادة مهمة للباحث في الثر اللغوي والأدبي لهؤلاء الأعلام، ومن بين الأعلام الذين كشفت عنهم كتب التصوف والزوايا والطرق الصوفية والذين كانت لهم أيادي بيضاء في خدمة العربية والشريعة الإسلامية العلامة محمد المختار بن الأعمش صاحب الزاوية التي تحمل اسمه بمدينة تندوف بالجنوب الجزائري، ولد رحمه الله سنة (1203هـ) عرف بورعه وتقواه وغزارة علمه حيث تولى منصب القضاء وكان مرجعاً للناس في ما يشكل عليهم من عويص المسائل ومشكلات القضايا وترك مصنفات عدة منها نصيحة ذوي الرسوخ، شرح إضاءة الدجنة للمقري، مؤلف في رسم المصحف، نصيحة قضاة البرية في تحريم الرشوة والهدية، مؤلف في أسماء الله الحسنى وغيرها من المؤلفات المخطوطة التي تنتظر

¹ رابح بونار : المغرب العربي تاريخه وثقافته. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م. ص: 5 .
² ينظر: رابح بونار : المغرب العربي تاريخه وثقافته. ص: 6. وكانت دعوة الكعاك الضمان الحية للبحث في تاريخ الجزائر وثقافتها، أكبر حافز للمرحوم بونار للمضي قدماً في عمله الرائد .

التحقيق والطبع وهي موجودة في مكتبة اسرة بلعش، وتوفي العلامة بلعش بمدينة تندوف سنة (1287هـ)¹. ومن بينهم أيضا : الشيخ المهدي البوعبدلي (1907م بمدينة بطيوة في وهران والمتوفى عام 1992م)، والذي كانت له بصمات واضحة في التدريس والإفتاء في كل من وهران وبجاية، مع اهتمام كبير بجمع المخطوطات النفيسة وخدمتها علميا لا سيما التاريخية منها فقد حقق رحمه الله كتاب " دليل الحيران وأينس السهران في أخبار مدينة وهران" للقاضي الزباني، وكتاب " الثغر الجماني" للشيخ أحمد الراشدي².

وهناك الكثير من الشخصيات العلمية التي يطول الجال بذكرها ذكر بعضا منها صلاح مؤيد العقبي " في كتابه النفيس " الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر " من شمال الجزائر وجنوبها وشرقها وغربها . وذكر بعض الفضلاء جهود زوايا العلم والقرآن في القطر الجزائري ومدى ما قدمته من جهود علمية عبر القرون، وما قدمته من مجاهدين أشاوس تصدوا للحملات التنصيرية والحركات الاستعمارية، ومن ذلك زاوية سيدي عبد الرحمن اليلوي³. ونظرا لأهميتها الجهادية هي ونظيرتها زاوية ودريس، فقد انتقم الاستعمار الفرنسي منهما شر انتقام " فني " 3/جوان 1957 هدم الجيش الفرنسي زاوية سيدي عبد الرحمن باستعمال المدفعية الثقيلة بعد اكتشاف مجموعة من المجاهدين قدموا من تونس ومعهم كمية من السلاح، وفي الفترة نفسها أغلقت زاوية "ودريس" هي أيضا وفي 1959 حوّلت إلى مركز عسكري وظلت كذلك حتى الاستقلال، وقد كانت مرحلة ما بعد الاستقلال هي مرحلة إعادة بناء

¹ صلاح مؤيد العقبي : الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها. دار البصائر، طبعة خاصة، 2009م. ص: 530، 531.

² المرجع نفسه. ص: 548.

³ ينظر : محمد نسيب : زوايا العلم والقرآن بالجزائر. دار الفكر دمشق سورية، ودار الفكر، الجزائر، (د.ت) ص: 125، 126

زاوية ودريس من قبل آث يمال ؛ وبعد ذلك استأنفت الزاوية نشاطاتها المختلفة بلا توقف حتى يومنا هذا، وتوسعت شيئاً فشيئاً في المكان بالتوازي مع أهمية مرئادها¹.

أما زاوية سيدي عبد الرحمن " فبعد تاريخ طويل في الكفاح تولت الدولة إعادة بناء زاوية سيدي عبد الرحمن حيث حولتها إلى معهد لتكوين الإطارات الدينية . . . وقد تم بناء المعهد بالمرسوم الرئاسي رقم 83/173 الصادر في 20 جمادى الأولى 1403 هـ الموافق لـ 1983/3/5 م . . . افتتح المعهد رسمياً في يوم 13 شوال 1405 هـ الموافق لـ 1985 م من طرف وزارة الشؤون الدينية في حفل كبير . . . وبدأت الدراسة فيه يوم 1984/09/15 م.² ولا يزال هذا المعهد العتيق يؤدي رسالته العلمية في تخرج إطارات دينية من مختلف الرتب والدرجات، لينتسروا بعد تخرجهم في أرجاء الوطن، لأداء رسالتهم العلمية والدعوية بالحكمة والموعظة الحسنة.

(4) المؤلفات المخصصة للحركة الإصلاحية ودورها في النهضة الجزائرية الحديثة:

وقد أورد الباحث تركي راجح بعضاً من رواد النهضة العربية الإسلامية في مرحلة اليقظة في مطلع القرن العشرين، من بين هؤلاء الأعلام : الشيخ عبد القادر المجاوي (1848 . 1913) الذي أطلق عليه الباحث اسم " دوائر المعارف " لكثرة تحصيله، وترك الشيخ طائفة من المؤلفات يبلغ عددها ثلاثة عشر كتاباً تدور موضوعاتها حول اللغة العربية وعلومها . والشيخ أبو القاسم الحفناوي (1852 . 1942 م) الذي كانت له مساهمات في تحرير جريدة "

¹ (محمد أكلي حديبي : أودريس الزاوية العامرة مقارنة سوسيو أنثروبولوجية لكان مقدس في منطقة القبائل. ترجمة : عبد القادر بوزيدة. نشر في إطار الجزائر عاصمة الثقافة العربية، منشورات زرياب، الجزائر، 2007م ص: 86.

² محمد نسيب : زوايا العلم والقرآن بالجزائر. دار الفكر دمشق سورية، ودار الفكر، الجزائر، (د.ت) ص: 145، 146 .

المبشر" منذ عام 1847 ودرس بالجامع الكبير بالعاصمة كما تولى الافتاء على المذهب المالكي ابتداء من عام 1936. ومن أهم آثاره " تعريف الخلف برجال السلف " هذا بالإضافة إلى أعلام آخرين كالشيخ مصطفى بن الخوجة (1865 . 1915) والشيخ عبد الحليم بن سماية (1866 . 1933) والأستاذ الدكتور محمد بن أبي شنب (1869 . 1929) ¹ .

وتعرض الباحث محمد بن سميعة من خلال مجلة " المصادر " إلى عطاءات كثير من أدباء الجزائر وعلمائها فقد خص المرحوم الشيخ " محمد الصالح رمضان" بمقال مهم مبرز فيه بعضا من جهوده في خدمة الدين والوطن والعلم، فقد كان من كبار الأدباء الملتزمين في مرحلة الأربعينيات، وشهد له بتمتعه منذ الصغر بالحس الفني والذوق الأدبي الذي أبرزه اشتغاله في شبابه بحرفة النجارة على الحشب وحبه للطبيعة وميله إلى الرسم وتدوقه الشعر والموسيقى والجمال، كما كان رحمه الله عالما محققا ومرجعا أميناً، محبا للعلم وطلابه، وساعيا لفعل الخير ومن ذلك إهدائه لمكتبته الزاخرة النفيسة بنقائس المصادر والمراجع إلى مكتبة الأرشيف الوطني، وترك المرحوم صدقة جارية مستمرة بإذن الله تعالى ممثلة في مصنفاته في مجموعة من الفنون، فمن ذلك الناشئة المهاجرة (مسرحية 1949)، المولد النبوي الشريف (مسرحية)، الذكرى الأدبية لزيارة الفرقة المصرية إلى تلمسان (1950)، ألحان الفتوة (مجموعة شعرية 1953)، النصوص الأدبية (أربعة أجزاء) بالاشتراك مع الأستاذ توفيق شاهين (1964م)، شهيد الكلمة أحمد رضا حوحو . . . وفي ميدان التحقيق وإحياء التراث، حقق مجموعة من آثار الإمام المصلح عبد الحميد بن باديس من أبرزها تفسير ابن باديس مع زميله توفيق

¹ ينظر : تركي رايح : الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط3، 1981م. ص: 106، 109 .

شاهين، كما له جملة من الأعمال المخطوطة به الدارس عليها عسى أن تجد همما عالية من محبي تحقيق التراث الجزائري لترى النور بتضافر جهود جميع الهيئات ¹ " .

5) الموسوعات الثقافية ودورها في الكشف عن إسهامات العلماء والأدباء الجزائريين

تمثل الموسوعة خزان معارف، تشمل حقولا معرفية معينة، وتقدم ما يهم الباحث من معلومات قيمة تخص المادة التي يبحث فيها، فمن الموسوعات العلمية الكبيرة التي أشادت وبنت بصمات العلماء الجزائريين في مختلف ميادين الفكر والثقافة "تاريخ الجزائر الثقافي" لسعد الله وفي مقال مهم للباحث " آلان كريستيلو" الأستاذ بجامعة إداهو عنوانه " تجميع تاريخ الجزائر الثقافي " وترجمة الأستاذ محمد الصالح بكوش من جامعة الجزائر وقد قال عنه أنه " يلم بمظاهر الثقافة الجزائرية من تفسير القرآن والشريعة إلى الفنون الجميلة والموسيقى، وتظهر أجزاء عديدة العادات الإسلامية المتعلقة بحياة العلماء . . . " ² .

وفي العشرة الأخيرة نشطت بعض الندوات للإشادة ببعض أعلام الجزائر الذين لا زالوا على قيد الحياة والذين تركوا بصمات كبيرة في الأدب والتاريخ الثقافي للجزائر مثال ذلك الندوة التكريمية العلمية في محضر الدراسات التاريخية والفلسفية جامعة منتوري - قسنطينة يومي 13/12 يناير 2004م وهي تخص " الأعمال التاريخية والأدبية والفكرية للدكتور أبي القاسم سعد الله في ميزان الباحثين الجامعيين " ط1 رجب 1429هـ - تموز جويلية 2008م. وفي

¹ محمد بن سميعة .المرحوم الشيخ محمد الصالح رمضان وجهوده في خدمة الدين والوطن والعلم (24 أكتوبر1914م/20 رجب1429هـ - جويلية 2008م) المصادر (مجلة سداسية محكمة يصدرها المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954) العدد 19 السداسي الأول 2009م .ص: 294، 305.

² آلان كريستيلو : "تجميع تاريخ الجزائر الثقافي " ترجمة : محمد الصالح بكوش.المصادر (مجلة سداسية محكمة يصدرها المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954) العدد : 11 (عدد خاص بالمقاومة والحركة الوطنية). السداسي الأول 2005. ص: 310

الكلمة الافتتاحية التي تفضل بها السيد مدير مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية بجامعة منتوري قسنطينة الأستاذ الدكتور عبد الكريم بوصفصاف قال أن أهداف هذه الندوة يمكن إجمالها في نقطتين رئيسيتين : أولهما : التعريف بأعمال المفكرين والباحثين الجزائريين . . . أما النقطة الثانية : فتسعى إلى البحث عن آراء ونظريات جزائرية جديدة مؤسسة للعلوم والفنون والآداب . . . لا سيما البحث عن ملامح مدارس أو مذاهب تاريخية أو فلسفية أو أدبية . . . " ¹.

وانتهجت همم بعض الباحثين إلى تقديم الوجه العلمي لبعض الشخصيات العلمية الجزائرية، وتجاوز النظرة السطحية الشعبية لهؤلاء الأعلام الذين كان ينظر إليهم كمناورات للتبرك والزيارة لا غير، دون تجاوزها إلى الوجه الثقافي الذي تمثله في مختلف أبعاده، مثل شخصية عبد الرحمن الثعالبي التي خصها الباحث عبد الرزاق قسوم برسالة علمية جامعة حاول من خلالها أن يعقد مقارنات بين الثعالبي وبين عدد من المتصوفين والفقهاء البارزين من أمثال : أبي حامد الغزالي، وعبد الحق الأشبيلي، والقرطبي . . . بالإضافة إلى سيرته العلمية في شتى تجلياتها، مؤكدا في خاتمة بحثه أن شخصية الثعالبي ستبقى " متعددة الجوانب كل جانب منها يغري بالبحث، فمنهج في التفسير في حاجة إلى بحث مستفيض، وآراؤه الأخلاقية والكلامية ما تزال مواضع تستحق البحث والتنقيب، هذا دون إغفال تحقيق مخطوطاته العديدة . . . " ². ومن الموسوعات التي ساهمت في التعريف بالأعلام الجزائريين لا سيما في الفترة ما بين الاحتلال الفرنسي واندلاع الثورة التحريرية "موسوعة أعلام الجزائر 1830-1954" والتي

¹ الندوة التكريمية العلمية في مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية جامعة منتوري — قسنطينة يومي 13/12 يناير 2004م وهي تخص " العمال التاريخية والأدبية والفكرية للدكتور أبي القاسم سعد الله في ميزان الباحثين الجامعيين " ط 1 رجب 1429هـ — تموز جويلية 2008م. ص: 6.

² ينظر : عبد الرزاق قسوم : عبد الرحمن الثعالبي والتصوف. (سلسلة الدراسات الكبرى) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1978م. ص: 126.

جاء في مقدمتها على لسان الفريق العامل " لقد أردنا لهذا العمل أن يكون جامعا لأعلام الجزائر في مختلف الميادين الأدبية والدينية والسياسية والعسكرية، وفي مجالات العمل والنشاط الاجتماعي اللذين من خلالهم استمرت الجزائر في التحدي والمقاومة"¹

6) ملتقيات الفكر الإسلامي ودورها في إبراز الإسهامات الجزائرية :

تعد ملتقيات الفكر الإسلامي التي كانت تعقد فوق أرض الجزائر المستقلة، كعبة يجج إليها العلماء والمفكرون من مختلف بقاع العالم، لتبيان خصائص الإسلام ومزاياه، ومناقشة شتى القضايا التي تهم العالم الإسلامي، ويحدد لكل ملتقى موضوعا معيناً يحاضر فيه المفكرون بما أفاء الله عليهم من نعمة العلم والاجتهاد، كما يتم التعريف بالحواضر العلمية الجزائرية وما شهدته من ازدهار ثقافي حاول المحتل بشتى طرائقه طمسه ومحوه، فكانت هذه الملتقيات بمثابة الدرع الواقي، والصور الحصين، لكل المحاولات التي كانت تهدف إلى سلب هذا الشعب عن هويته العربية والإسلامية. ذكر الباحث محمد المختار اسكندر² في بحث تاريخي حاول من

¹ بن نعيمة عبد المجيد وفرقته : موسوعة أعلام الجزائر 1830 — 1954. منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954. (سلسلة المشاريع الوطنية للبحث). طبعة خاصة. وزارة المجاهدين، الجزائر 2007م. ص: 11 .

² (من مواليد مدينة المديّة _/11/1923، درس على عدة مشائخ وأساتذة من بينهم والده محمود اسكندر، محمد العيد آل خليفة، الطيب العقبي، جلّول البدوي، عبد الرحمن الجيلالي، الفضيل اسكندر، مصطفى فخار مفتي المديّة، اشتغل بالتعليم الحر (1943/1962)، انخرط في سلك المستشارين التربويين (1962/1974) عمل في وزارة الشؤون الدينية، وعضو بالمجلس الإسلامي الأعلى، وعضوية اتحاد الكتاب الجزائريين، وعضوية المركز الوطني للدراسات التاريخية، شارك في ملتقيات الفكر الإسلامي، له عدة مؤلفات منها : تاريخ مدينة المديّة بين القديم والحديث، المفسرون الجزائريون عبر القرون، الخدثون الجزائريون عبر القرون، المجتهدون الجزائريون عبر القرون، القضاء الإسلامي والقضاة الجزائريون، القضاء في نشأته وتطوره " من غلاف مؤلفه المفسرون الجزائريون عبر القرون. محمد المختار اسكندر : المفسرون الجزائريون عبر القرون (بحث تاريخي يعرف بالعلماء الجزائريين لدى تفسيرهم للقرآن الكريم رواية ودراية منذ القرن الثاني الهجري إلى القرن الرابع عشر) من السلسلة الذهبية لإحياء التراث الإسلامي. مطبعة دحلب، شارع طرابلس حسين داي، الجزائر، 1991م

خلاله التعريف بالعلماء الجزائريين لدى تفسيرهم للقرآن الكريم وذلك في ملتقى وطني في سيدي عقبة تحت عنوان " الأيام الدراسية للفتوحات الإسلامية للمغرب العربي ومساهمة الجزائريين في التراث الإنساني " حيث بين فضيلته بكل أدب جم وتواضع رفيع بعد أن أورد كلام الشيخ العلامة البشير الإبراهيمي حينما استشهد بالعلامة المفسر الشيخ أبو عبد الله الشريف التلمساني في القرن الثامن الهجري، على الرغم من وجود أكثر من (16) ستة عشر من المفسرين على اختلاف أرجاء الوطن، بين فضيلته أن هذا ما حضر العلامة الإبراهيمي في مقام الاحتفال باهتمام دروس التفسير للشيخ العلامة ابن باديس نظرا لشهرته الكبيرة، بيد أنه من باب الأمانة للعلم رأى فضيلته الرجوع إلى أبعد من القرن الثامن الهجري " فأول المفسرين للقرآن الكريم في القطر الجزائري هو عبد الرحمن بن رستم في القرن الثاني الهجري سنة 160هـ وفي أول دولة جزائرية حرة مستقلة كان هذا العبقرى على جانب عظيم من العلم والعمل وطبق الديمقراطية الصحيحة والعدالة الاجتماعية . .¹

ثم ينتقل فضيلته " إلى القرن الثالث الهجري نجد وبالضبط 250هـ، نجد مفسرا ألا وهو هود بن محكم الهواري الأوراسي، فلا غرابة ولا عجب أن تكون هذه المنطقة في القديم بداية التفسير، وفي العصر الحديث بداية التحرير . . .² " . إن أبحاث الأستاذ محمد المختار اسكندر، تمثل نافذة مهمة تغري الباحث للولوج لحقل التفسير القرآني وما يحتوي عليه من قيمة لغوية ونظرات أدبية، وما أكثرها، وما أوسعها، لا سيما إذا تأزر على تبيانها من سمع فضلها فأوعى، ولدرس خصائصها راح يسعى . مشمرا عن ساعد الجد والاجتهاد، خدمة لدينه ولغته وهوية أمته .

¹ محمد المختار اسكندر : المفسرون الجزائريون عبر القرون (بحث تاريخي يعرف بالعلماء الجزائريين لدى تفسيرهم للقرآن الكريم رواية ودراية منذ القرن الثاني الهجري إلى القرن الرابع عشر) من السلسلة الذهبية لإحياء التراث الإسلامي. مطبعة دحلب، شارع طرابلس حسين داي، الجزائر، 1991م. ص: 14.

² المرجع نفسه. ص: 14، 15.

7) المصادر التي تبحث عن تاريخ المدن الجزائرية :

إن هذه المصادر تقدّم فوائد جمة لدارسي اللغة والأدب حينما تتعرّض للناحية الثقافية لهذه المدن الجزائرية العريقة، والتي تشكل في مجموعها محيطا حضاريا متكاملًا، أمدّ العالم العربي والإسلامي بمجموعة من نقائس الكتب في مختلف المجالات العلمية، من هنا ألفينا المرحوم الشيخ عبد الرحمن الجيلالي ينبش في تاريخ الجزائر والمدينة ومليانة، فيرى فيها كنوزا وعلوما، ومآثر تستحق التنويه والإشادة والتسجيل حتى لا تعصف بها معاول النسيان، ففي موسمها اللقي (1370/360 هـ الموافق لـ 1971/970م)، فبعد رصده لآيات الفن المعماري وبدائع الصناعة الهندسية في القطر الجزائري، أتحف القارئ بعالم الحياة الثقافية بمختلف تجلياتها الدينية والعقلية والأدبية، مبينا أن حياة مدينة الجزائر العلمية والثقافية منذ تأسيسها على يد بلكين إلى الآن هي حياة خصبة متعددة الجوانب، متنوعة الموضوعات وتحذّر عن بعض أولئك النوايع، الذين أثروا الحياة العلمية للجزائر، وجعلوا منها زهرة المدائن، وروضة الأماكن، يقصدها العلماء والأدباء، والشعراء كل به شوق وشيد حب لهذه البلاد الطيبة، فمن أولئك النابغين " أبو محمد عبد المنعم الجزائري، وأخذ عن ابن منداس الجزائري، واشتهر بالشعر والترسل الديواني ومحمد بن منداس المتوفى سنة 643 هـ وكان أدبيا لغويا ومحدثا ونبغ في القرن التاسع أعلام في الفقه والتصوف والكلام، من أشهرهم : عبد الرحمن الثعالبي صاحب المؤلفات الكثيرة الذي ولد سنة 785 هـ والمتوفى سنة 875 هـ . . . وشيخه أبو جمعة وكان مشهورا بعلمه وتقواه، وأحمد بن عبد الله الجزائري الزواوي، كان فقيها متكلمًا، وأديبا شاعرا، وقد اشتهر بلاميته في التوحيد وكان صديقا للثعالبي، وقد رثاه بعد وفاته بقصيدة مطلعها :

لقد جزعت نفسي لفقد أحبتي وحق لها من مثل ذلك تجزع¹

كما تحدث الشيخ المرحوم عبد الرحمن الجيلالي، عن نوايع وعلماء الجزائر في العهد التركي، وقد ساهموا في الحركة الأدبية والحركة الثقافية بوجه عام لهذه المدينة الزاهرة، فذكر من بينهم: " العلامة يحيى الشاوي الذي نشأ بالجزائر وأخذ بها عن سعيد قدورة وعلي بن عبد الواحد الأنصاري السجلماسي ومحمد بن محمد بهلول الزواوي السعدي وأجازته شيوخه وارتحل إلى مصر سنة 1074هـ واستجاز علماءها وأجازوه وظهر عليهم بحفظه، وله من المؤلفات في بيان ما للبخاري من التصحيح وحواشي على التسهيل واللفية لابن مالك وتوفي على ظهر البحر سنة 1096هـ ونقل إلى مصر ودفن بها " ² وذكر الشيخ " الشيخ عبد الرزاق بن حميدوش الجزائري وعاش في القرن الثاني عشر واشتهر بكتابه الطي (كشف الرموز والأعشاب) ³.

وهناك كتاب " أعلام مدينة الجزائر ومتيعة " ومن خلاله يلتقي القارئ مع ثلة من الأعلام البارزين، الذين كانت لهم مشاركات وحضور أدبي وفني فاعل في مختلف المجالات، وعلى سبيل المثال يجد متتبع الحركة الأدبية ترجمة للأmir مصطفى بن إبراهيم بن مصطفى باشا من أمراء مدينة الجزائر ومؤلف رواية " حكاية العشاق في الحب والاشتياق " ⁴ وأهمية هذه الحكاية وأثرها في اللغة والأدب واضح وجلي لدى الدارسين الذين تعرّضوا لها مفصّلين عن جمالياتها شكلا ومضمونا .

¹ الشيخ عبد الرحمن الجيلالي : تاريخ المدن الثلاث، الجزائر — المديّة — مليانة. دار الأمة، للطباعة والنشر والتوزيع، برج الكيفان، الجزائر، ط1، 2007م. ص : 224، 225 .

² المرجع نفسه. ص : 227 .

³ المرجع نفسه. ص: 227.

⁴ مسعود كواقي ومحمد الشريف سيدي موسى : أعلام مدينة الجزائر ومتيعة. منشورات الحضارة بئر التوتة، الجزائر، ط2، 2010. ص: 23.

(8) المصادر المهمة بأدب الرحلة :

وهذه المصادر المهمة بأدب الرحلة متعددة الفوائد (لغوية، أدبية، تاريخية، اقتصادية، اجتماعية . . .) وتمتد الباحث بجملته من الإسهامات الجزائرية في اللغة والأدب، لأن هؤلاء الرحالة كانوا بمثابة شاهد عيان على الوقائع والأحداث، ومنها كتاب " رحلات جزائرية " التي " تقدم لنا صورة عامة عن الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية التي كانت تسود شرق وجنوب الجزائر " ² وهذا في الثلث الأول من القرن العشرين زمن الرحلات

وهناك طائفة من العلماء والأدباء يَمَوا وجوههم شطر المشرق العربي بعد خدمتهم العلمية في أوطانهم، وذلك حبا للرحلة الأدبية والعلمية من بينهم " العلامة أحمد بن عمار الجزائري العالم الأديب الرحالة وكان من نوايع عصره، رحل إلى المشرق في أوائل سنة 1166هـ واشتهر برحلته التي بقي منها نبذة قليلة، وتوفي أواخر القرن الثاني عشر الهجري ن وعلي بن محمد الجزائري المتوفى سنة 1185هـ، وكان يعرف بابن الترجمان، وانتقل إلى المشرق (وجال في أنحاءه، ثم استقر أخيرا بالآستانة وشارك مع الجيش العثماني، وأسر ومات بالتراب الروسي) ³ .

¹ أدب الرحلات كتب فيه الرحالة من المشرق والمغرب، ومن العرب وغير العرب، فمن ذلك : رحلة الغرناطي وقد جاء في استهلال الرحلة للكاتب : محمد أحمد السويدي مايلي " تهدف هذه السلسلة بعث واحد من أعرق ألوان الكتابة في ثقافتنا العربية، من خلال تقديم كلاسيكيات أدب الرحلة، إلى جانب الكشف عن نصوص مجهولة لكتاب ورحالة عرب ومسلمين جابوا العالم ودوّنوا يومياتهم وانطباعاتهم ... " أبو حامد محمد الغرناطي : تحفة الألباب ونخبة الإعجاب ورحلة إلى أوربة وآسيا (1690 – 1691). حرّرها وقدم لها : قاسم وهب. دار السويدي للنشر والتوزيع أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان. ط1، 2003م. ص:07.

² محمد صالح الجابري : رحلات جزائرية. دار الغرب الإسلامي. بيروت، ط1، 2001م. ص: 23.

³ عبد الرحمن الجيلالي : تاريخ المدن الثلاث ص: 228.

وفي كتاب " تاريخ بني زيان " رصد لماثر بعض الأدباء الذين ساهموا في رفع
رصيد الحركة الأدبية لدولة بني زيان، فمنهم السلطان نفسه أبو حمو الذي كان " له من النشر
الرائق، والشعر الفائق، ما ارتفعت صنعته من بلاغة الملوك ومن العلم العقلي والنقلي ما جلا
نوره عن الدنيا مدلهما الحلوك . . . صنف رضي الله عنه كتابا أدبيا ملوكيا لولده المولى أبي
تاشفين ولي عهده سماه " نظم السلوك في سياسة الملوك " ¹

ذكر الغبريني ² رحمه الله صفوة من العلماء سكتوا بجاية ونشروا ودرسوا بها مختلف
علوم اللغة والشريعة، وصنوف الآداب، ومنهم من كانت له صلات بالمشرق مفيدا ومستفيدا
ومناظرا لعلمائها وأدبائها، ومن بين من ذكرهم شيخه الفقيه الأستاذ النحوي اللغوي المحصل
التاريخي أبو عبد الله محمد بن الحسن بن علي بن ميمون التميمي القلعي، كان متأثرا بأبي
الفتح بن جني، شهد له الغبريني بأنه كانت " تقرأ عليه جميع الكتب النحوية واللغوية والأدبية
ويقوم على جميعها أحسن قيام، وهو أفضل من لقيت في علم العربية، لزمته عليه القراءة ما
ينيف على عشرة أعوام، وذكر من الكتب التي قرأها "الإيضاح"، و" كتاب سيويوه" و
"الأمالى" و" زهر الأدب"، وذكر الغبريني أنه كان " يسلك في شعره على طريق حبيب بن
أوس، وكان صاحبه أبو عبد الله الجزائري يسلك في شعره سلوك المتنبي، وكانا يتراسلان

¹ محمد بن عبد الله التنسي : تاريخ بني زيان ملوك تلمسان. مقتطف من : نظم الدر والعقيان في بيان شرف
بني زيان. حققه وعلق عليه : محمود بوعياذ. منشورات ANEP المؤسسة الوطنية للكتاب والمكتبة الوطنية
الجزائرية، 1985م. ص : 173.

² الشيخ أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني (ت714هـ) عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في
المائة السابعة ببجاية. تحقيق : محمد بن أبي شنب. دار البصائر، الجزائر، ط1، 2007م، ص: 33، 34.

الأشعار يجاوب كل واحد منهما الآخر على طريقته¹ ومن قصائده الرائعة التي ذكرها عنوان الدراية تلك القصيدة الرقيقة الزهدية والتي يمدح فيها الحبيب المصطفى²:

وَإِنِّي لَأَدْعُو اللَّهَ دَعْوَةَ مُذْنِبٍ عَسَى أَنْظُرَ الْبَيْتَ الْعَتِيقَ وَالْثَمِ
فِيَا طُولَ شَوْقِي لِلنَّبِيِّ وَصَحْبِهِ وَيَا شَدَّ مَا يَلْقَى الْفُؤَادُ وَيَكُتُمُ
تَوَهَّمْتُ مِنْ طُولِ الْحِسَابِ وَهُولِهِ وَكَثْرَةِ ذَنْبِي كَيْفَ لَا أَتَوَهَّمُ

إلى أن يقول :

فِيَا سَامِعَ الشُّكُوى أَقْلَنِي عَثْرَتِي فَإِنَّكَ يَا مَوْلَايَ تَغْفُو وَتَرْحَمُ

مؤلفات المستشرقين حول الإسهامات الجزائرية ويجد الدارس في بعض أعمال المستشرقين والمستعربين حقائق جديرة بالتوقف عندها لما تحمله من بصمات عن خصيصة المصنفات التي قدمها علماء الجزائر لا سيما أولئك الذين لم ينالوا حظهم من الدرس والتحليل، ومن ذلك أعمال "تاديوس ليفيتسكي عن المغرب والإباضيين بصورة خاصة" وهو رجل بولوني معروف بأعماله عن الجغرافيين والرحالة العرب... ويعتبر إلى ذلك اختصاصيا بالدراسات عن العالم البربري في شمال إفريقيا وبالتحديد ما يختص بالإباضية وتاريخها وأصولها العقديّة³، ويمكن الاستفادة أدبيا من بعض مؤلفات الإباضية في فن السير والتراجم، وأسلوبية الكتابة الفنية من خلال تلك المصنفات، ومن بينهم "أبو العباس الأحمد بن سعيد بن سليمان بن علي بن

¹ المصدر نفسه. ص: 36 .

² المصدر نفسه. ص: 34، 35 .

³ تاديوس ليفيتسكي : المؤرخون الإباضيون في أفريقيا الشمالية. ترجمة : ماهر جرّار و ربما جرّار. دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2000م. ص: 185 .

يَخْلَفُ الدَّرَجِيْنِي : مَفْتٍ وشاعر ومؤرخ إباضي من القرن السابع الهجري، مؤلف عمل تاريخي وسيري عن الإباضيين يعرف بـ كتاب طبقات المشايخ¹.

الخاتمة :

إن العطاء الأدبي واللغوي لعلماء الجزائر لم ينقطع عبر العصور، حتى في الفترات الحالكة التي شهدتها الجزائر، وهذا بفضل الله ورحمته، وتوفيق منه سبحانه لأهل العلم والإيمان، لتبقى موارث الكتاب والسنة وما يتصل بهما من علوم وآداب باقية تشهد على عظمة هذا الدين الحنيف وسر خلوده، وما هذا البقاء على الرغم من كيد الكائدين، إلا دليلا ساطعا وبرهانا جليا على رسوخ قدم هذا القطر في جذوره التاريخية، وعناصر هويته القوية التي طالما حاول الظالمون، أن يطمسوها بما يوحى لهم شياطين الإنس والجن من وسائل الفتك والإجرام، وطرق البغي والعدوان بيد أن كل تلك المحاولات باءت بالفشل، وانقلب الأعداء على أعقابهم ينكصون، بفضل الله تعالى الذي كتب العزة لنفسه ولرسوله وللمؤمنين الصادقين الصابرين المحتسبين، من هنا فإن الدين كبير والحمل ثقيل على جيل اليوم بمختلف مكوناته وفعالياته، لنشر تراث علماء الجزائر الأعلام عبر العصور، ولنفض الغبار عن رفوف المكتبات المتبقية لاستخراج كنوزها ونشر دررها، عبر فرق البحث العلمي، والرسائل الأكاديمية، والجهود الشخصية والمؤسسية .

¹ المرجع نفسه. ص 52.